بحث تاريخي
في
رسائل إخوان الصفا
وعقائد الإسماعيلية فيها

تصنيف

الدكتور حسين الهمداني
أستاذ الآداب العربية والفارسية في كلية -
بسورت (الهند)

﴿ حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ﴾

Published by
THE ARABIC LIBRARY & CO
BOOKSELLERS & PUBLISHERS
Orient Hotel Building, Opp. C. Market
Bombay 3 (India)

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر

بحث تاريخي

في

رسائل إخوان الصفا

وعقائد الإسماعيلية فيها

تصنيف

الدكتور حسين الهمداني

أستاذ الآداب العربية والفارسية في كلية م . ت . ب

بسورت (الهند)

﴿ حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ﴾

يطلب من

المكتبة العربية الكبرى بيومباي

١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر

محتويات الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

بحث تاريخي فى رسائل اخوان الصفا[1]

للدكتور حسين الهمدانى اليعبرى

— ١ —

المقدمة

نشرت المكتبة التجارية الكبرى فى سنة ١٩٢٨ م مطبوعة رسائل اخوان الصفا التى عنى بتصحيحها السيد خير الدين الزركلى ، واطلعت على مافيها من مقدمتين قيمتين نفيستين . مقدمة تحليلية للأستاذ الدكتور طه حسين ، والأخرى تاريخية للأستاذ أحمد زكى باشا . ونشرت مجلة المجمع العلمى العربى (بدمشق الشام ١٩٢٨م) مقالة علمية للأستاذ السيد محمد كرد على فى شأن رسائل اخوان الصفا. وأرسل الىّ أخيرا الأستاذ السيد عبد اللطيف الطيباوى من القدس هدية رسالته النفيسة المسماة « جماعة اخوان الصفا » (طبعت مرة ثانية عن مجلة « الكلية » التى تصدر عن الجامعة الأميريكية فى بيروت ١٩٣٠ — ٣١ م) . واستفدت كثيرا من هذه المباحث العلمية فاليوم أريد أن أذكر طرفا مما تعين وتحقق عند هؤلاء الأساتذة المحققين فى أمر الرسائل لكيما نعرف النتائج التى استنبطوها بعد درس الرسائل ، وأذكر شيئا قليلا

---

(١) هذه الرسالة قدمتها فى إدارة المعارف الاسلامية بلاهور (بنجاب الهند) يوم الأحد السادس عشر من ابريل ١٩٣٣م ونشرتها الإدارة فى مجموعة المقالات المساة « روئداد إدارة معارف اسلامية » إجلاس أول لاهور ١٩٣٣

مما وجدته فى كتب الدعوة الاسماعيلية المصونة فى خزائن الدعوة باليمن والهند ، ثم شواهد خارجية وداخلية بأن الرسائل لابد لها من صلة بينها و بين الحركة الاسماعيلية .

فأقول : ان العلماء المتقدمين والتأخرين قداختلفوا فى أمر تأليف رسائل إخوان الصفا اختلافات عديدة : من ألف هذه الرسائل وأين ومتى ألفت هذه الرسائل . ولم يأتوا فيها بقول فصل ، بل ذهبوا فيها كل مذهب . وأظهروا فى مباحثهم آراء متباينة وأفكارا متضادة ولهذا رأيت أن أذكر فى كلمات موجزة مايغنى عن الاسهاب والتطويل

— ٢ —

رأى أبى حيّان التوحيدى

قيل إن جماعة من علماء البصرة ألفوا رسائل إخوان الصفا فى أواسط القرن الرابع بعد الهجرة النبوية . وأول من قال بهذا الرأى هو أبو حيّان التوحيدى فى كتابه « الإمتاع والمؤانسة » (راجع مقدمة أحمد زكى باشا ص ٣٠) . ثم أورد جمال الدين أبو الحسن القفطى المصرى المتوفى سنة ٦٤٦ ﻫ فى كتابه « تراجم الحكماء » كلاما طويلا ضمنه ذكر الحديث الذى جرى فى سنة ٣٧٣ ﻫ — ٩٨٣ م بين أبى حيان و بين وزير لصمصام الدولة ، فاستخلص منه أن زيد بن رفاعة أقام بالبصرة وصادف بها جماعة منهم أبو سليمان محمد بن معشر البستى المعروف بالمقدّسى وأبو الحسن على بن هارون الزنجانى وأبو أحمد المهرجانى والعوفى وغيرهم ، واجتمعوا على تأليف الرسائل . وقال القفطى : « إن هؤلاء جماعة اجتمعوا على تصنيف كتاب فى أنواع الحكمة الأولى » . ثم قال : —

« ولما كتم مصنفوهم أسماءها ، اختلف النـاس فى الذى وضعها . فكل قوم قالوا قولا بطريق الحدس والتخمين . فقوم قالوا : هى من كلام بعض الأئمة من نسل على بن أبى طالب كرم الله وجهه . واختلفوا فى اسم الإمام الواضع لها اختلافا لايثبت له حقيقة . وقال آخرون : هى تصنيف بعض متكلمى المعتزلة فى العصر الأول

والغريب أن القفطي اعترف بوجود الناس الذين قالوا ان الرسائل من كلام بعض الأئمة العلويين ، واعترف بوجود مذاهب أخرى فى أمر الرسائل مع هـذا أنه يستند و يعتمد على كلام أبي حيان .

وقال الأستاذ أحمد زكى باشا (ص ٣٤) فى شأن الجماعة : « وعلى ذلك يكون مؤلفوها ممن نحوا نحو الإسماعيلية وذهبوا مذاهبهم ، وقالوا بمقالاتهم . . . . وقد أعملت الجهد الجهيد فى تطلب ترجمتهم ، ومعرفة أخبارهم وشؤونهم . . . فلم يسعفني القدر ببلوغ الوطر الخ». ولكن الأستاذ لايرى فى إطناب أبي حيان فى مدح زيد بن رفاعة الا « دلالة ضمنية على فائق فضلهم وواسع علمهم » .

وهكذا استنبط الأستاذ السيد عبد اللطيف الطيباوى نتيجة توافق ماتوصل اليها الأساتذة قبله حيث يقول : « وإذا فتاريخ نشو الجماعة وتأليف رسائلها يتراوح مابين سنتي ٣٣٤ ﻫ و ٣٧٣ ﻫ . هذا ماتوصلنا اليه فى تحقيق زمان الجماعة . . . . فالبصرة إذا مركز الجماعة وفيها قامت مؤسستهم على رأى القفطي (من حديث أبي حيان) . ولسنا على حق فى الاعتراف بصحة هـذه القضية كحقيقة تامة . فلا شاهد آخر إزاء القفطي مستقلا عنـه يذكر هذا الأمر . وقـد تحاشى الاخوان ذكر اسم البلدة التى كتبوا فيها رسائلهم كما هى العادة كما تحاشوا ذكر التاريخ »

ألا يضح لنا أن نقول « على طريق الحدس والتخمين » . لابين العلم واليقين إن هذه الجماعة ـ إن صحّ لنا وجودها ـ كان مذهبهم ومسلكهم مصطبغا بصبغة المذهب الإسماعيلي ولكننا لانعرف أخبار هذه الجمعية السرية حق المعرفة .

— ٣ —

ماذا يقول المجريطي

وقيل إن مسلمة المجريطي المتوفى سنة ٣٩٨ ﻫ ألف رسائل إخوان الصفا . عزيت الرسائل اليه اعتمادا على ماجاء فى كتاب « رتبة الحكيم » . وليس كتاب « رتبة

الحكيم » بتآليف الحكيم المجريطى ، بل هو منسوب اليه فقد أثبت العلماء مؤخرا أن هذا الكتاب ألفه أحد غير المجريطى لانعرف اسمه فى قرن بعد وفاة المجريطى ولكننا لا نبحث ههنا أمر الاختلاف فى تأليف كتاب « رتبة الحكيم » . بل نرى ماذا يقول صاحب الكتاب فى أمر الرسائل : ـ

« وقد قدمنا من التآليف فى العلوم الرياضية والأسرار الفلسفية رسائل استوعبناها فيها استيعابا لم يتقدمنا فيها أحد من عصرنا البتة. وقد شاعت هذه الرسائل فيهم وظهرت اليهم فتنافسوا فى النظر اليها ، وحضّوا أهل زمانهم عليها . ولا يعلم من ألف ولا أين ألف غير الحذاق منهم لما دأبوا على مطالعتها لاستحسانهم إياها واستعذابهم لألفاظها . أنها من تأليف زمانهم وعصرهم الذى هم فيه ولا يعلمون من ألفها الخ »

فهل يوجد فى العبارة المتقدم ذكرها أن المجريطى [1] أو غير المجريطى ألف الرسائل؟ بل يذكر صاحب الكتاب أن أبناء زمانه لا يعلمون « من ألف ولا أين ألف غير الحذاق منهم » . ثم يصرح أن الرسائل تأليف زمانهم وعصرهم الذى هم فيه . وأما قوله : «وقد قدمنا من التآليف ...رسائل» فلعله يشير الى أمر نقل الرسائل من الشرق الى الغرب لأن المجريطى أو تلميذه الكرمانى أو صاحب كتاب « رتبة

---

(١) يرى صديق الدكتور بانيث (Dr. Baneth) بأن مؤلف « رتبة الحكيم » لايريد إلا المجريطى فى العبارة المتقدم ذكرها :

Es scheint mir kein Zweifet, dass der Vevfasser der رتبةالحكيم den Magriti als Autor der رسائل, von denen er spricht, an - gesehen wissen sollte. Naturlich hat das Zeugnis dieses apokrypen Autors gar keinen Wert, er wollte damit nur seinen den Stil der Ikhwan nachahmen den Buechern gr - oessere Autoritaet venleihen (من مكتوبه المؤرخ فى القدس فى ١٤ مارس ١٩٢٣م)

الحكيم » كان أول من أدخل الرسائل الى الأندلس (راجع P. de Gayangos, The History of the Muhammodan Dynasties in Saain, 1 427 - 29).

وقد قال الأستاذ أحمد زكى باشا : « فالظاهر أنهم لما اطلعوا عليه (أى على كتاب رتبة الحكيم) قالوا إن الرسائل التى يذكرها إنما هى المعروفة برسائل اخوان الصفا وهو وهم »

وقال المحبي المتوفى سنة ١٠٦٤ م فى ترجمة البهائى : إن هذا سئل عن مؤلف رسائل اخوان الصفا فكتب : « أنا الفقير رأيتها منسوبة للمجريطى وما تحققت من هو وما أخباره » . ثم قال : ـ

« رأيت ابن السكى ذكر فى فتاويه وقد سئل عن صاحب رسائل اخوان الصفا وترجمته وما حال كتابه . فأجاب بقوله : نسبها كثير الى جعفر الصادق وهو باطل وإنما الصواب أن مؤلفها مسلمة بن أحمد بن قاسم بن عبد الله المجريطى . . . . وممن ذكره ابن بشكوال وغيره ـ وكتابه فيه أشياء حكمية وفلسفية وشرعية .وممن شدد عليه ابن تيمية لكنه يفرط فى كلامه فلا تغتر بجميع مايقوله ». (راجع خلاصة الأثر ، ج ٤ ص ٧٠٦)

فما أورد العلماء الذين ذكرهم المحبي دليلا واضحا على انتساب الرسائل الى المجريطى بل تناقضوا فى مقالاتهم أشد تناقض .

وأما ماذكره صاحب « كشف الظنون » أن المجريطى ألف كتابا يسمى «رسائل اخوان الصفا » . أوله : « الحمد لله الذى خلق فسوى الخ » فمفيد لنا لأنه أشار الى كتاب غير الرسائل المتداولة بين الناس حيث قال : « وهو نسخة مغايرة على اخوان الصفا » .

فالذى أشار اليه صاحب « كشف الظنون » هو الرسالة الجامعة .

— ٤ —

الرسالة الجامعة

وكان ظن العلماء الى أواخر القرن الأخير أن رسالة الجامعة المذكورة فى الرسائل الإحدى والخسين المتداولة بين الناس مفقودة غير موجودة عندنا . ولكن المستشرق الفرنسيى كزانوفا (Casanova) وجد نسخة منها مفقودة الصفحاتُ الأولى فى المكتبة الأهلية بباريس ، ثم نشر مقالة فى هذه الرسالة . وأخذ العلماء يدرسون الرسائل من وجهة أخرى . و « اتجه الفكر مؤخرا الى الاعتقاد بوجود صلة بين فلسفة اخوان الصفا من جهة وعقائد الاسماعيلية من جهة أخرى » (الطيباوى ص ٧١)

هذا ما توصل اليه كزانوفا (Notice sur un manuscrit de la secte de Assassitahis Journal Asiatique., 1898, p 151 seq.) بعد درس الرسالة

« لا أرانى الا مصيبا فى القول ان فلسفة الاسماعيلية جميعها مبثوثة فى رسائل اخوان الصفا . فالقول بالإمام المستور الذى سوف يظهر ليعيد السلام الى العالم ـ هذا القول عندهم يمثل امتزاج النظريات الأفلاطونية بالاعتقاد بالمجيء الثانى للمسيح . . . وعليه فمن الجور فى الحكم أن يرمى القرامطة والحشاشون بالكفر والانحطاط الأخلاق كما جاء فى فتوى ابن تيمية الذى يزعم القسم الاخير من (البلاغ الأكبر) إنكار لوجود الخالق . إذ لم نجد فى الرسالة الجامعة التى هى لب الرسائل وروحها ما يدعم هذا الزعم ، بل على الضد من ذلك نجد فى تعاليمهم الطاهرة والمثلية المتقمصة بنزعات الشمول الدائنة بالجمال ، البعيدة كل البعد عن نزعات الشك والمادية الخ . (هذا ما ذكر فى ترجمة السيد عبد اللطيف الطيباوى) .

وأيضا توجد مخطوطات هذه الرسالة فى مكتبة ميونيخ ألمانيا (Aumer No. 653) وفى دار الكتب المصرية ومكتبة الأستاذ المرحوم أحمد تيمور باشا [١] فى مصر

---

(١) تفضل على حضرة الباشا الأستاذ العلامة المخلد الأثر أحمد تيمور بمخطوطة هذه الرسالة للمطالعة والدرس أيام إقامتى فى مصر.

وكلهـا منسوبة إلى المجريطى . وأما النسخ المصونة فى خزائن الدعوة اليمنيـة فتسمى باسم « الجامعة » أولها ـ « الحمـد لله الذى خلق فسوّى ، والذى قدّر فهدى ، والذى أخرج المرعى ، فجعله غثاء أحوى الخ » كما جاء به صاحب « كشف الظنون » .

وكانت الدعوة الاسماعيلية اليمنية تهتم برسالة الجامعة منذ أواخر الدولة الصليحية فى اليمن اهتماما بليغا . وكانت هذه الرسالة معروفة باسم « الجامعة » عند أولى الدعوة من القرن السادس بعد الهجرة . ولا ينسبونها الى الحكيم المجريطى أو الى غيره ، بل يحسبون أنهـا من أجزاء الرسـائل . وذكر الداعى ابراهيم بن الحسين الحامدى المتوفى سنة ٥٥٧ هـ اسم الجامعة غير مرة فى كتابه المسمى « كنز الولد » وهو يقول . « قال الشخص الفاضل الكامل صاحب الرسائل » ، ثم ينقل عبارات كثيرة من الرسالة الجامعة . وهذه الشواهد تدل أن هذه الرسالة موجودة غير مفقودة .

— ٥ —

الرسائل ورأى علماء أوربا

وأيضا يجب علينا أن نعترف بفضل علمـاء أوربا لأنهم درسوا الرسائل بالإمعـان . ونشروا أبحاثهم العلمية التاريخية فى تآليفهم وأثبتوا صلة بين تعاليم الرسائل وعقائد الاسماعيلية . وكان الأستاذ كزانوفا زعيم القائلين بهذا الرأى وأول من اعتنى بدرس الرسالة الجامعة ولكن جماعة من المستشرقين تقدموا الى القول بأن الرسائل مصطبغة بالصبغة الاسماعيلية . ووصلنى مؤخرا كتاب من الأستاذ دبور (De Boer) صاحب كتاب « تاريخ الفلسفة فى الإسلام » وفيه يقول :

كان أغسطس ميولر (Aug. Mueller) أول من قال بأن الرسـائل ألفت قبل تأليف رسائل الكندى والفارابى ولكن غولد تصـير (Goldziher) كان يعرف الصلات بين الرسائل وبين الحركة الإسماعيلية . وقد أيدته فى نظريته فلذلك

ذكرت زمن الرسائل والرازى فى كتابى المؤلف فى سنة ١٩٠٦م قبل الكندى والفارابى اللذين يجمعان فى تآليفهما الافلاطونية الحديثة والارسطاليسية . وكان العلماء يزعمون قبل سنة ١٩٠٠ م أن تأليف الرسائل كان بين زمنى الفارابى وابن سينا . والآن أنتم أيدتمونا وأغنيتمونا فى آرائنا ونظرياتنا بالشواهد الأدبية (من مكتوبه المؤرخ فى الهاى فى ٢١ من يناير ١٩٣٣ م)

وأما ما ذكر الدكتور ماسينون , Massignon, Der Islam, 1913 (iv, p. 324)من الأبيات الواردة فى الرسائل فيفيدنا لتقرير تاريخ الرسائل ونرجو أن يتوجه العلماء فى المستقبل الى تحقيق أسماء ناظمى الأبيات . ولا محيص لمن يريد أن يدرس الرسائل وتاريخها عن مباحث لفلوغل (١) وديتريصى (٢) وغولد تصير (٣) ودبور (٤) ونيكولسون (٥) وغيرهم من العلماء المحققين المستشرقين

— ٦ —

كتب الدعوة الإسماعيلية اليمنية

فأريد الآن أن ألفت أنظاركم الى استنباط الدعوة الإسماعيلية (وسينشر فى

(١) Fenegel, Ueber die Inhalt und Verfasser der arabischen Encyclopaedie R. Ikhwan as - safa , Zdmg, XIII. 1839 .

(٢) Dietereci Die Philosophie der Araber im10 Jahrhundert nach Christ ., erster Theil , Einleitung und Makrokosmos , Leipzig, 1876, pp. 131 - 137

(٣) Goldziher, Ueber die Bennenung der اخوان الصفا, der Islam, Bd. I, Hamburg 1910.

(٤) De Boer, Wigsbegeerte in den Islam, Amsterdam 1921.

(٥) Nicholson, Aliterary History of the Arabs, London,1923

المستقبل القريب فى مجلة الجمعية الآسوية الملكية البرطانوية (Ras) بلندن بحثى التاريخى فى كتب الدعوة المستورة[١] وهى محفوظة الى يومناهذا فى خزائن كتب الدعوة باليمن والهند). وهذه الابحاث كانت مستورة الى هذا الأوان ولكن الظروف والقضايا الاتفاقية ساعدت محققى أوروبا بحصول بعض كتب الدعوة وذكر جريفينى [٢] وماسينيون [٣] وتريتون [٤] عن بعض هذه الكتب [٥] المصونة فى متاحف أوروبا .

وهى مهمة جدا لأنها تحتوى على أمور تاريخية ومفيدة للذين يريدون أن يدرسوا تاريخ العقائد والفلسفة فى الإسلام . ومنها كتب للمؤلفين المتقدمين الكبار ما كنا نعرف إلا أسماء بعضهم مثل كتب الفيلسوف أبى يعقوب السجزى والشيخ أبى حاتم الرازى والقاضى النعمان والحكيم أحمد حميد الدين الكرمانى والداعى المؤيد فى الدين الشيرازى وغيرهم . ولو استقصينا ذكر هؤلاء المؤلفين وتآليفهم لخرج بنا الكلام عن حيزهذه الرسالة .فنذكر هذه الآداب لأنها تعنينا فى درس هذه الرسائل ولان هذه الآداب قد نشأت فى الزمن الذى ظهرت فيه الرسائل وبلغت الحركة الإسماعيلية الى أوجها العلمى الأدبى .

---

(١) Some unknown Ismaili Authors and their works, JRAS, April, 1933

(٢) Griffini, ZDMC., LXIX

(٣) Mossignon, Esquise d'une bibliograhie Qarmate, volume of the oriental studies, Gibb series, 1922

(٤) Tritton, Notes on some Ismaili Mss., BSOS., vol VII.

(٥) ونشر مؤخرا المستشرق ايوانوف (Ivanow) كتابا مستقلا فى مخطوطات الاسماعيلية A Guide to Ismaili Literature بلندن ١٩٣٣

- ٧ -

الرسائل وذكر الدعوة الإسماعيلية

واتنقلت كتب الدعوة الإسماعيلية الفاطمية المصرية فى أيام خلافة المستنصر بالله والمستعلى لدين الله والآمر بأحكام الله ، ثم بعد انقراض الدولة الفاطمية فى مصر الى اليمن لأن الصلات كانت موجودة بين الأئمة الفاطميين فى مصر والسلاطين الصليحيين فى اليمن . ثم اتخذت الدعوة اليمنية تدرس الرسائل ، ومن حيث مابلغه علمى أن أول من ذكر الرسائل والرسالة الجامعة فى تاريخ آداب الدعوة الاسماعيلية هو الداعى إبراهيم بن الحسين الحامدى المتوفى سنة ٥٥٧ هـ . ثم لم يقع نظرى الى اليوم فى تآليف الدعاة الذين كانوا فى أيام الخلفاء الفاطميين على ذكر الرسائل . ولكن الدعاة اليمنيون أكثروا مباحثهم فى الرسائل وأمعنوا فى مطالعتهم إياها وتآليف الدعاة المتقدمين . فصارت الرسائل عندهم « قرآن الإمامة » ويحترمونها كما يحترمون « قرآن الأمة » كما قال الشيخ إبراهيم السيفى المتوفى سنة ١٢٣٦ هـ فى كتابه المسمى « تحفة رسائل الإخوان الذى هو شرح الرسائل الأربعة الرياضية من القسم الأول من رسائل إخوان الصفا » : « وسمعت بعض العلماء يقول إن رسائل إخوان الصفا هى القرآن بعد القرآن وهى قرآن العلم كما أن القرآن قرآن الوحى وهى قرآن الإمامة وذلك قرآن النبوة »

وهم يعتقدون بأن الرسائل ألفها « الإمام الهمام قطب الأقطاب مولانا أحمد المستور ابن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق » فى أيام الخليفة المأمون العباسى كما صرح به ونص عليه إدريس عماد الدين المتوفى سنة ٨٧٢ هـ - ١٤٦٧ م فى كتابيه

« عيون الأخبار[١] » و « زهر المعانى [٢] » وهاهنا نورد بيان الداعى إدريس فى أمر الرسائل حيث قال فى الجلد الرابع من كتاب « عيون الأخبار » (ص ٢٢٩) :

« وقام الإمام التقى أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بعد أبيه بأمر الإمامة وبث دعاته فى الآفاق من سلمية واتصل به الدعاة ودعوا اليه وهم مخفون لمقامه كاتمون لاسمه . . . . وكان المأمون حين احتال على على بن موسى الرضى بن جعفر ظن أن أمر الله قد انقطع وحجته عن الأرض قد ارتفعت . . . فحين ظن المأمون العباسى . . . ذلك الظن ووهم ذلك الوهم سعى فى تبديل شريعة محمد صلى الله عليه وسلم وتغييرها وأن يرد الناس الى الفلسفة وعلم اليونانيين . . . وخشى الإمام ع م أن يميل الناس الى مازخرف المأمون عن شريعة جده . . . فألف رسائل إخوان الصفا

(ثم ذكر مؤلف كتاب عيون الأخبار بعد هذا فهرست الرسائل على التمام)

فهذه فهرست الرسائل التى ألفها الإمام ع م جمع فيها أنواع العلوم الفلسفية والهندسية والشرعية . . . . وجعل الجامعة هى منها الغاية التى يتبين فيها المراد . ويتضح المعنى للمرتاد ، وقصرها على خلصاء شيعته وخيرة خاصته .... وإنما ألف الإمام

---

(١) راجع تقريظ المولوى الشيخ محمدعلى الرامبورى المدراسى فى مطبوعة بومبائى ١٣٠٦ هـ ص ٤٠٩ . وأيضا أتى صاحب الرسالة المسماة « العسل المصفى » المطبوعة ببومبائى ١٩٢٨ م الشيخ عبد الحى عرب الحويزى ببيان إدريس وكتابه « عيون الأخبار » وقال السيد الحويزى ان ما أورده فى هذه الرسالة من بيان إدريس وكتابه «العيون» وغيرها من الأمور فهو رأى سيدنا الداعى ومولانا طاهر سيف الدين(رئيس الفرقة الاسماعيلية الداؤدية) وتفضل علىّ حضرة السيدغلام حسين(مأذون الدعوة الاسماعلية السليانية ورئيس الجماعة بالهند) بالجواب أنه يرى بأن الرسائل ألفها أربعة من الدعاة تحت إدارة إمام من الأئمة العلويين وأن هذا الرأى مبنى على بيان أحد المؤرخين المعتبرين من الدعاة. فنرجو من سيدى المحترم أن يهتم بنشر هذا الأمر التاريخى الهام من كتبه المصونة فى خزائن الدعوة خدمة للعلم والتاريخ

(٢) راجع مقالتى التى نشرتها مجلة « المعرفة » (مصر ديسمبر ١٩٣١) ص ٩٨٤

أحمد . . . . تلك الرسائل ، . . . لتقوم الحجة على المأمون وأتباعه . . . . حين انحرفوا عن علم أهل النبوة ، وآثروا الفلسفة ، ثم إن الامام أمر ان تبث تلك الرسائل فى المساجد . . . . فحين وقع الناس عليها رفعت الى المأمون . . . . فعلم أنه لم يصنع شيئا ، وأن مارامه من قطع حبل الإمامة لا يكون .

ثم إنه اتصل به أحد دعاة الإمام . . . . وسأله عن شيء من غامض العلم ليدله عليه فأنبأه بذلك بما أمكن أن يبينه . . . . فبـاء بذنبه معلنا وللإصرار مبطنا وقال : ليتنى أجد خلف الرسول ، فأبوء اليه بإثمى . . . . وأدفع اليه ملـكى . . . . فاغتر ذلك الداعى بقوله ووعده الى موعد ليدله على الإمام بعد أن أخذ عليه فى ذلك أكيد المواثيق . . . .

وهاجر ذلك الداعى الى حضرة إمامه ع م . وعرفه بما دار بينه و بين العباسى من الـكلام ، . . . فعرفه الإمام ع م أن ذلك الجبار لايوفى بحلفه .... فأبى ذلك الداعى الا التمادى فى مطالبة الإمام ، . . . وكرر على الإمام ذلك المقال ، قال له « اذهب وعرفه أنك الإمام ، . . . . وأنك إنما سترت عنه ذلك تقية وامتحانا . . . . . . واعلم أنه فى كل ذلك يمكر بك وأنه سوف يبين رأسك عن جسدك » فودعه الداعى ، ورجع الى المأمون . . . فأظهر المأمون البشر لقدومه . . . ثم خلا لهما المجلس ، قال . . . فهات الى عنوان الخبر ، وعرفنى بالإمام من أبناء إسماعيل بن جعفر ، فأعاد عليه الداعى مؤكدات الأيمان . . . فحين أعطاه من المواثيق ما طلب . . . قال له ذلك الداعى « إنى أنا الإمام . . . وإنما كتمت عنك لخوف سطوتك » . . . وقد كان سمع من علمه مادله أن ذلك لايوجد إلا فى معدن النبوة والإمامة فحين ظن المأمون أن المخاطب له هو الإمام ، دعا سيافه ، وأمره أن يضرب عنقه بالحسام ، فقال : « صدق صلى الله عليـه لقد نبأنى أنك من الظالمـين » فعلم المأمون عند ذلك أنه لم يقع على مراده ، فقتل ذلك الداعى . . . وكان الداعى يكنى الترمذى قس [١] .

---

(١) «وكان الداعى من أرض القدس» (مخطوط زهر المعانى ص ١٥٦)

وقد قال بعض المتأخرين ... إن الرسائل ليست لأحد الأئمة المستورين ، واحتج ببيت سطر فى الرسائل وهو من قول . . . المتنبى

« وفى الجسم نفس لا تشيب بشيبه ولكن ما فى الجسم منه خراب »

« وهذه الرسائل ألفها الامام المذكور أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر صلى الله عليه وسلم بغير شك . . . ولا ان هذا البيت أورده بعض الناسخين من المتأخرين » .

وقد وجدنا فى العبارة المتقدمة بيانا يختلف عن بيان المؤلف فى كتابه الآخر « زهر المعانى » فى بعض التفاصيل مع أنه لا يريد إلا انتساب تأليف الرسائل الى إمام مستور من العلويين فبين إدريس فى « العيون » أن على بن موسى الرضى قتله المأمون قبل ظهور الرسائل وفى « زهر المعانى » على خلاف ذلك قال أن على بن موسى الرضى وصل الى المأمون بعد ظهور الرسائل [1]

فمن أين أخذ إدريس هذا البيان وما مصادره لنظريته الجديدة ؟ أظن أن الداعى إدريس لعله استنتج روايته من المصادر الآتية التى وجدت فى كتب الدعوة :

(١) قال الداعى شرف الدين جعفر بن محمد بن حمزة (المتوفى سنة ٨٣٤ هـ) فى رسالته « الموقظة » :

« . . . . حتى هم المتسمى بالمأمون أن يرد الأمة الى دين الفلسفة والقول بالنجوم وقال ماجاء محمد ﷺ إلا بناموس ملك به الناس وحقيقة وأساس حتى أظهر ولى الله

---

(١) « وسبب ذلك (أى تأليف الرسائل) أن المأمون جمع المنجمين وأنفق الأموال الجمة لعمل الزيج الذى باسمه وولاة الأمر مكتومون داخلون فى كهف التقية وظن المأمون . . . أن الفاطميين نفدوا ومابقى للشريعة من يقيم دعائمها . . . فلما علم ولى الحق ذلك صنف الرسائل وأظهر فيها ما أظهر من علوم الفلسفة . . . فعند ذلك علم المأمون أن ولى الأمر منكم وأن الارض لاتخلو من حجة فرجع عن مانواه . . . ووكل للفاطميين فى فدك والعوالي . . . وأمر بالنداء فى البلدان من كان من نسل فاطمة فليصل الى المأمون . . . فوصل اليه جماعة من الفاطميين وكان فى من وصل اليه على بن موسى الرضى . . . » (مخطوط زهر المعانى ص ١٥٦ ــ ١٥٧)

وابن رسول الله رسائل اخوان الصفاء فيها ما تحير فيه جميع العالم من العلوم فى كل فن والاستشهاد على شريعة الرسول . . . وهو صلى الله عليه وسلم إذ ذاك فى كهف التقية مستتر ، ودعاته الباقون مفرقون لتلك الرسائل فى كل مشهد وقطر ، فرجع اللعين عما هم به من ذلك . . . »

(٢) ثم قال الداعى على بن محمد الوليد الأنف المتوفى سنة ٦١٢ هـ - ١٢١٦ م فى كتاب « دامغ الباطل » (ج ٢ ، ص ٤٧ - ٤٩) :

« ليس بجحد الجاحدين للحق يبطل و يستحيل ، ولا باجماع أهل الباطل عليه يعلو على الحق و يستطيل، وعلوم هذا الإمام وآبائه الكرام عليه أفضل التحية والسلام فى جميع الفنون الدينية . . . جايلة فى الآفاق بين أهل الدعوة الهادية ، كاشف نورها لظلم الاختلاف الحادث بين الفرق الإسلامية وغير الإسلامية ، وليس إذا ضعف بصر الخفاش عن نور الشمس يبطل ، ولا إذا جحد جاحد المشاهد يجوز جحدانه عند أهل العقول و يقبل ، . . . وقد كان من أخذ أئمة الهدى سلام الله عليهم من إظهار جل العلوم ، المحتوية على كل فن جامع للفوائد فى باديها والمكتوم ، فى الرسائل التى فرقها فى الجهات ، وعمر بها سائر المدارس والاجتماعات ، حين رام المأمون العباسى نسخ الشريعة بإحياء علم النجوم والتطريف والتعطيل للملة الإسلامية فلم يمكنه أن يبلغ من ذلك ما يروم ، بل جعلوا تلك الرسائل جامعة من كل فن من العلم لجمله وتفاصيله . . . فحين لمع برهان تلك التأليفات لكافة أهل العراق وسطع شعاع حقها فى سائر الآفاق ، انكفى المسمى بالمأسون عما رامه راجعا ، وأعمل فكره وصرف همه الى منشئ ذلك ظانا أن يظفر به فيكون بقتله إياه سبب الحق منقطعا ، و يستتب له اغتصاب أهل بيت النبوة الذى فيه كدح واسلافه وسعا ، فأظهر التشيع متظاهرا به وتسارب اليه من الفاطميين من اغتر بتمذهبه فأفنى منهم نفرا ، ولم يظفر بالشخص الأشرف الإمامى ولا أدرك منه وطرا . . . »

(٣) وقال القاضى النعمان (المتوفى سنة ٣٦٣ هـ - ٩٧٣ م) فى كتاب « شرح الأخبار » :

« وقيل إنه وقع الى المأمون رجل من الشيعة ، فكاسره ، فقامت حجة عليه وانقطع المأمون وأراه القبول لما جاء به وجعل يستبحثه عن إمام الزمام عندهم ، فأومى له الى على بن موسى بن جعفر بن محمد ، فرأى أنه قد ظفر ببغيته ، ودبر أمرا ، وأراد الحيلة فيه أن يظهر ويدعو اليه ، ثم يعمل فى قتله ، ولم يطلع أحدا من النـاس على باطن مراده فى ذلك أن لا يفشوا ذلك عنه »

(٤) ثم قال الداعى جعفر بن منصور اليمن باب الأبواب فى دعوة المعز بالله الفاطمى فى كتاب « سرائر النطقاء » :

« ثم وجدنا الفرق التى بعد هؤلاء اجتمعت على ولده أحمد بن موسى وهو المسمى بعلى الرضى ، الذى نصبه المأمون ، وجعله ولى عهده ، والإمام بعده ، . . . ولم يشك أحد من العلويين والشيعة أن الأمر منصرف اليه بعـد المأمون ، . . . وذلك أن المأمون جمع الفقهاء والعلماء من سائر البلدان ، وناظرهم فى الفـدك والعوالى . حتى ردها على ولد فاطمة عم بعد إقامة الحجة عليه ، كل ذلك حيلة على صاحب الأمر ، فلم يجد الى ذلك سبيلا لستره نفسه عن الظهور قبـل أوانه واختفائه عن أعدائه وانتظار الفرج فى حينه وأوانه . . . واتصل خبره برجل كان منصرفا فى الشام من قبل ولى الزمان وكان دار هجرته بيت المقدس ، وكاتب صاحب الجزيرة بالتوجه اليـه فسار نحوه باذلا نفسه ابتغاء مرضاة الله . . . وسار الرجل حتى دخـل اليه وبذل نفسه وجاهد فى الله حق جهاده . فـكان من خطاب المأمون له فى وقت دخوله اليه فلمـا أفلح بالحجة عليه قال أرجو أن تـكون الحجة الخفية المطلوبة ، والنعمة الواسـعة الموهوبة ، وباب الرحمـة الموجودة ، فتحك الله لى ، فقال له أما الحجة المطلوبة ، فلأيجاب رحمة فتحت لك فيهم ، فاسمع استماع من يخشى الصمم ، وتثبت تثبت من يخاف الزلل ، ولقد جرى بينهما مايطول شرحه ان تقصيناه ويخرج عن حد الـكتاب

حتى انه بسط اليه يدا كانت عن الحق مقبوضة . وفى الجور مبسوطة ، وأنعم عليـه ، وعرفه بمولاه ، وأفاض عليه من نوره وهداه ، فساواه فى مجلسه ، فشرح له ما جرت به السنة الماضية ، وتركه على حاله الى أوان الظهور ، وتمـام المقدور بالوقت المعلوم ، والأجل المحتوم ، وأقام معه مدة طويلة ، بذل له فى خلواته ، و يبذل نفسه فى مرضاته ولم يزل يطارحه شيئا بعد شيء ، حتى استكمل رضاعه ، واكتفى بما أخذه منه ، ورآه الرجل قد قوى أمره ، وحسن مذهبه . وانصرف عما كان عليـه ، فعند ذلك عرفه بحال المنصوب ، وما يكون منه ، وودعه وسار . . . فلما لم يجد عنـد على بن موسى شـيئا من الحق المطلوب ، . . . وعلم أن حكمة الله مستورة عن أعـداء الدين ، والجالسين مجالس الأئمة المهديين ، ومذخورة فى أوليـائه الى أوان الظهور ، فعند ذلك قلب الرأى فى أمره ، وأنه رآه خاليا مما طلبه فيه ، وغير مستحق لمـا أهله له . . . . فعند ذلك قتله

فنرى أن الداعى على بن محمد الوليد المتوفى سنة ٦١٣ هـ ـ ١٢١٦ م جد إدريس و « والد الجميع » كان أول من قال بهـذا الرأى فى كتابه المسمى « دامغ الباطل » ثم أخـذه إدريس وصرح به فى كتابيه « عيون الأخبـار » و « زهر المعانى » : ومخطوطات هذه الكتب موجودة محفوظة فى خزائن الدعوة غير معروفة إلا عنـد أرباب الدعوة . وكان ناشر مطبوعة بومبائى يتدين بدين الإسماعيلية وكان عالمـا بكتب الدعوة وحاويا لعلومها وتاريخها فأورد رأى إدريس ـ لا لنيل احتـكار اختلقه كما زعم الأستاذ أحمد زكى باشا ـ لأنه وجد هذا البيان فى كتاب « عيون الأخبار » وأما ما قاله على بن محمد بن الوليد وإدريس عماد الدين فى أمر الرسائل فيجب علينا أن ندرس قولهما الجديد كما درسنا آراء مختلفة ونظريات متباينة عديدة . ولا غرو أن هذا الرأى يفيدنا فى درس مسألة الصلة بين الرسائل والحركة الإسماعيلية فى الإسلام . وإذا درسنا مذاهب شتى فى أمر تاليف الرسائل فأى شيء يمنعنا أن ندرس هـذه

النظرية ؟ وقد بذلت الجهد الجهيد فى حل هذه المسألة العويصة ولـكننى لم أتحصـل على شواهد تاريخية و بينات علمية التى تؤيد وتصدق هذه النظرية .

فلذلك ما أتيت برأى إدريس ههنا وفى مقالتى :

Rasail ikhwan as-safa in the literature of the Ismaili Dawat, der Islam Bd XX Heft 4

الا ليعرف العـالم العلمى ماذا تعتقد الإسماعيلية فى أمر الرسائل . وما أتيت بهـذا البحث إلا لـكيما يرى الطالب اعتقاد الإسماعيلية ونقطة نظرهم فى أمر الرسائل لعل هذه النقطة تفيدنا فى درس الرسائل وفى حل بعض معضلاتها إذا درسناها من الوجهة العلمية التاريخية

— ٨ —

فلسفة الرسائل وعقائد الاسماعيلية

دعوة الرسائل الى علوم أهل البيت

معرفة الحدود وحقيقة الجنة

وتدل هذه الشواهد الخارجية على أن الرسائل لابد لها من صلة بين فلسفتها وعقائد الإسماعيلية . وهذه نتيجة توصلنا اليها بعد درس الرسائل نفسها . فالآن أذكر طرفا من مذهب الرسائل وفلسفتها التى تؤيد رأينا هـذا . فمنها دعوى إخوان الصفا أن الرسائل تتضمن علوم أهل بيت النبي ﷺ كما جاء فى الرسائل : ـ

« واعلم يا أخى بأنا قد عملنا احدى وخمسين رسالة [1] فى فنون الآداب وغرائب

---

(١) ذكر السيد الطيباوى أمر الاختلاف في عدد الرسائل فى كتاب « جماعة إخوان الصفا » (ص ٣٦ ـ ٣٧) . والظريف ماجاء به إدريس عماد الدين فى « زهر المعانى » حيث قال ـ « فقام الامام أحمد بن عبد الله صلوات الله عليـه بأمر الله ووحيه وهو الثـانى من الخلفاء وحجته عبد الله بن ميمون وأحمد بن عبد الله ممثول النطفة فى دورهم مقابل لنوح ثانى النطقاء ولجده الحسين بن على ثانى الأئماء . فنشر العـلوم ظاهرا وباطنا . وصنف الرسائل وجعلها على العلوم الأربعة . . . . ثم جعلها ثلاثة وخمسين رسالة شاهدة له ودالة عليه لأن اسمه بحساب الجمل ثلاثة وخمسون الخ.

العلوم وطرائف الحكم كل واحدة منها شبه المدخل والمقدمات والأنموذج لكيما اذا نظر فيها إخواننا وسمع قراءتها أهل شيعتنا وفهموا بعض معانيها وعرفوا حقيقة ماهو مقرون بها من تفضيل أهل بيت النبي ﷺ لأنهم خزان علم الله و وارثو علم النبوات تبين لهم تصديق مايعتقدون فيهم من العلم والمعرفة الخ » (ج ٤ ص ٢٢٢)

فمن أراد أن يدخل مدينة العلم وجنة الدين فليأت الباب كما قال النبي ﷺ : أنا مدينة العلم وعلى بابها . ومن أراد أن يستفيد من هذه العلوم فيجب عليه أولا معرفة الباب وهى معرفة الحدود ومن عرف حدود الدين فقد دخل الجنة ـ جنة الدعوة والدين الاختيارى إذ لا إكراه فيه (ج ٤ ص ٤٠٦)

— ٩ —

ولاية على بن أبى طالب

النطقاء والاختلاف فى شرائعهم والدين دين الإسلام

دعوة الرسائل الى إمام مستور

تقيم الرسائل دعوة الى محبة النبي ﷺ وأهل بيته وولاية على بن أبى طالب وهذه المحبة والولاية هى «المعاد» الذى تشير الرسائل اليه و « يجمع الإخوان حرمة الأدب والخروج من جملة العوام » (ج ٤ ص٢٢٩)

وأما القول بالنطقاء والاختلاف فى شرائعهم ووضائعهم والدين دين واحد ففلسفة هذا الاختلاف والائتلاف مشبعة فى كتب الدعوة الإسماعيلية .ودليل ذلك فى الرسائل قولها هذا « ان الأنبياء عليهم السلام لايختلفون فيما يعتقدون من الدين سرا وعلانية ولا فى شيء منه ألبتة كما قال تعالى : « أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ » : « وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً » . وأما النواميس والسنن والشرائع فهم فيها مختلفون كما جاء فى الرسائل :

« . . . . فهكذا شرائع الأنبياء واختلاف سننهم بحسب كل زمان وما يليق بهم

أمة أمة وقرنا قرنا ، مثل شريعة نوح عليه السلام فى زمانه ، وشريعة إبراهيم عليه السلام بعـده فى زمان آخر وقوم آخرين ، وشريعة موسى عليه السلام فى زمان آخر وقوم آخرين ، وشريعة المسيح عليه السلام بعده فى زمان آخر وقوم آخرين ، وشريعة سيد الأنبياء محمد عليه الصلاة والسلام والتحية والرضوان فى زمان آخر وقوم آخرين كما قال تعالى : «شَرَعَ لَكُمْ مِنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَٱلَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ». فهؤلاء كلهم دينهم واحد وإن كانت شرائعهم مختلفة » (ج ٤ ص ٦١ - ٦٢) وأما دين الإسلام فلم يتغير منذ خلقت السموات والأرض ولن يتغير الى يوم القيامة كما جاء فى القرآن : « إِنَّ ٱلدِّينَ عِنْدَ ٱللهِ ٱلْإِسْلَامُ » ولكن الشرائع الأولى قد نسخت وبدلت بالأخرى الجديدة لأن معنى نسخ الشريعة تبديلها بالشريعة الجديدة . ماينسخ ناطق من شريعة إلا يأت بخير منها . وليس النسخ بإبطال مايأتى به الإمام الأول بل هو تجديد شريعة السابق .

وإن « الامام » هو مركز دعوة الرسائل وهو الذى تدعو اليه الرسائل من أولها الى آخرها . «وإذا اجتمعت خصال النبوة فى واحد من البشر فى دور من أدوار القرانات فى وقت من الزمان ، فإن ذلك الشخص هو المبعوث وصاحب الزمان والإمام للناس مادام حيا » (ج ٤ ص ١٨١) والإمام هو صاحب الأمر (ج ٤ ص ٢٢٥) وصاحب الناموس الأكبر (ج ٤ ص ١٠٧) والشخص (ج ٤ ص ١٧١) . ولا توجد رسالة من الرسائل الا وفى خطبتها «الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . آلله خير أما يشركون » . والمعنى فى كلمة « العباد » فى القرآن عنـد الإسماعيلية الأئمة من ذرية النبى ﷺ .

— ١٠ —

دور الكشف ودور الستر

القوة الإمامية الملكية وازاءها القوة الإبليسية

والإمام هو خليفة الله وبه صلاح العالم وربما كان ظاهرا بالعيان موجودا فى دور الكشف وربما كان مستورا فى دور الستر من تصاريف الزمان ونوائب الحدثان. وأما القول بأن الامام المنتظر لا يظهر من خوف المخالفين فمن الآراء الفاسدة والاعتقادات المؤلمة (ج ٤ ص ٨٧)، لا يكون مفقود الوجود بل يعرفه أولياؤه. لا يخلو زمان من الإمام لأنه «حجة الله على خلقه وهو تعالى لا يرفع حجته ولا يقطع الحبل الممدود بينه وبين عباده.» (ج ٤ ص٣٥٤) إن الأئمة هم أوتاد الأرض وهم الخلفاء بالحقيقة فى الدورين جميعا. ففى دور الكشف يظهر ملكهم فى الأجسام والأرواح. وفى دور الستر يجرى أمرهم فى الأنفس والعقول» (ج ٤ ص ٣٥٤) ويكون الامام مستترا فى «كهف التقية» وهو «كهف أبينا آدم» مدة من الزمان ولا يكون ظاهرا للعيان موجودا للمكان حتى جاء وقت الميعاد. (ج ٤ ص ١٠٧)

وفى دور الستر يكون فعل إبليس إزاء القوة الإمامية أقوى مايكون لأن الإمام يكون مختفيا مستورا «وإن كانت أنواره تضىء فى نفوس العارفين به». قدصرحت الرسالة الجامعة ما كان مرموزا فى الرسائل حيث جاء فى الرسالة: ـ «إن إبليس كان بالحقيقة شخصا من بقايا أشخاص آخر دور الكشف الأول ممن كان قد لحق بعد شرائطه ووقف على شىء من معلوماته فلذلك قيل: إنه كان من الجن وإنه فسق عن أمر ربه . . . . فلما جهل أهل دور الستر الى أن يسجد للذى هو أول خليفة

قام به بأمر الله تعالى وأراد إبليس أن يكون هو القائم بذلك الأمر فأخلف الله ظنه وجعله تابعا لامتبوعا . فلما استكبر أبى وفسق . . . وخدع آدم وغره وعارضه بمذاكرة علم دور الكشف وما فيه من الفوائد العقلية الباقية الخالدة الخ » . فإذاً بهذا البرهان أن ابليس كان شخصا من دور الكشف تكبر عن قبول رياسة آدم دور الستر . وكذلك الأبالسة والشياطين أجمع هم أشخاص موجودون فى كل دور من الأدوار إزاء الأئمة (وهم الملائكة المعصومون) يخالفونهم و يضادونهم بقدر قوة صاحب الزمان حتى يكون زوال دور الستر، فعند ذلك يذبح إبليس ولا يبقى من ذريته أحد، ويكون العالم سعادة كله ويكون الدين كله لله . وكذلك رموز الدين وأسرار العلوم ومعرفة قائم القيامة محجوبة عن أضداد الأئمة الذين هم الأبالسة فى كل عصر من العصور ودور من الأدوار إلا عند إخوان الصفا وخلان الوفا لأنهم ذرية آدم بالحقيقة كما جاء فى الرسائل : — « اعلم يا أخى أيدك الله وإيانا بروح منه بأن علم البعث وحقيقة القيامة محجوبان عن إبليس وذريته وأتباعه وجنوده من شياطين الإنس والجن وهو سر الله الأعظم لايطلع عليه أحد من خلقه إلا من ارتضى من أوليائه وأصفيائه وأهل مودته من ذرية آدم ومن ذرية نوح «ومِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا »الخ (ج٣ص٨٤)

فهذه حقيقة الدورين — دور الكشف ودور الستر .ولها مرتبة عظيمة فى فلسفة الإسماعيلية .

- ١١ -

فلسفة العقول والأعداد

معنى الشرّ والخطيئة . معنى الأعياد عند الإخوان

ومزج الفلسفة بالدين

وأما فلسفة العقول وفلسفة الأعداد فمن أهم عقائد الاسماعيلية . وهذه الفلسفة التى اتخذوها من الفلاطونية الحديثة والفيثاغورية الحديثة مبثوثة فى جميع الرسائل . ومنها أن « العقل » هو اسم مشترك يقال على معنيين أحدهما ماتشير به الفلاسفة الى أنه أول مبدع أبدعه البارى المبدع . والمعنى الآخير مايشير به جمهور الناس الى أنه قوة من قوى النفس الإنسانية . والنفس الإنسانيةهى قوة من قوى النفس الكلية . والنفس الكلية هى فيض فاض من العقل الكلى الذى هو أول فيض فاض من البارى (ج ٣ ص ٣٧) . فلا توجد فى الرسائل والرسالة الجامعة ذكر العقول العشرة التى أوردها الفارابى و بصورة أخرى معاصره الداعى أحمد حميدالدين الكرمانى فى كتابه « راحة العقل »[١] . ولكن الرسالة الجامعة تذكر أمر الخطيئة الأولى وتقاطر الرتب فى العالم الروحانى اللطيف كما جاء فى الرسالة : ـ « فقد بان بالبرهان وصح أن الشرّ لا أصل له فى الإبداع . وسمى عجز الأشياء بحدوث بعضها عن بعض شرا بمعنى التخلف عن اللحوق بدرجة الفاضل المتقدم عليه، ومتى غفل المفضول عن اللحوق بدرجة الأفضل ورضى لنفسه بالمقام الأخس الأرذل فهو الشر المحض البعيد عن الخير الخ » . فهذه الشواهد أوردتها لكى نعلم أن فلسفة الرسائل هى عين المذهب الإسماعيلى وهى تؤيد رأى العلماء الذين قالوا بأن الرسائل لابد لها من صلة بين فلسفتها و بين مذهب الإسماعيلية

ولا تقيم الرسائل دعوة لإمام مستور فى « كهف التقية » فى كل موضع بصراحة

---

(١) مخطوط الكتاب موجود فى كتب الدعوة الاسماعيلية . راجع مقالة الدكتور بولس كراوس فى مجلة « الاسلام » Der islam من المجلد التاسع عشر والقسم الرابع (هامبورج المانيا) ومقالتى فى مجلة الجمعية الآسوية الملكية (JRAS) بلندن ابريل سنة ١٩٣٣ .

القول، بل تشير إلى الإمام وأمر الإمامة بعبارة غامضة فلسفية علمية .وقد أوردت الرسائل ذكر الأيام الأربعة التى اتخذها الفلاسفة أعيادا ، ثم قابلتها بأعياد الشريعة الإسلامية لأنها وجدتها موافقة لها . وذلك أن النبي ﷺ سن لأمته فى شريعته ثلاثة أعياد .فالأول منها عيد الفطر ، وهو أعظم فرح يكون بخروج النـاس من شدة الصوم الى الفطر كفرح أهل الأرض بقدوم الربيع . والثانى منها عيـد الأضحى ، وهو يوم تعب ونصب يوافق للعيد الثانى الفلسفى . ثم اليوم الثالث من الأعيـاد الشرعية هو يوم انصرافه من حجة الوداع بغدير خم « وفرحه ممزوج لأنه خالط ذلك بنكث وغدر موافقا للعيد الثالث الفلسفى المتقلب فيه الزمان من الصيف الى الخريف » . والعيد الرابع من السنة الشرعية هو يوم الحزن والكآبة فهو « يوم وفاة النبي وعيد له غير أنه مشوب بمصاب أمته . . . . كما حزنوا أهل بيت النبوة لما فقدوا سيدهم وغاب عنهم واحدهم وتخطفوا من بعده وتفرق شملهم وطمع عدوهم واغتصبوا حقهم وتبددوا . ثم ختم ذلك بيوم كربلاء وقتل من قتل من الشهداء ما افتضح الإسلام به ومن قبله ما أنال أحق الناس بما قاسى أولاهم بالأمر من بعده . ثم من بعد غيبة صاحب الشريعة ﷺ قتل من بعده من أجلة أصحابه المساعدين له فى إقامة الناموس معه مثل صديقه وفاروقه وذى النورين وما تواتر على أهله وأقاربه من المصائب . فصار ذلك سببا لاختفاء إخوان الصفا وانقطاع دولة خلان الوفا الى أن يأذن الله بقيام أولهم وثانيهم وثالثهم فى الأوقات التى ينبغى لهم القيام فيها إذا برزوا من كهفهم واستيقظوا من طول نومهم » . وكانت الاخوان « أحق الناس بالعبادة الشرعية . . . وأحق الناس أيضا بالعبادة الفلسفية والقيام بها والتجديد لما دثر منها » فاذا أكمل الاخوان ذلك كانت لهم « سنة ثالثة » يتميزون بها . ولهم فى هذه السنة الثالثة أعياد وهى لاتشابه أعياد الشريعة ولا أعياد الفلسفة بالحقيقة ولكن بالمثل لأن أعيادهم ذاتية قائمة بذواتها تظهر الأفعال عنها وبها وفيها . « فأعيادنا أيها الأخ هى أشخاص ناطقة وأنفس فعالة تفعل بإذن باريها » . فاليوم الأول من هـذه السنة يظهر فيه أول القائمين منهم وهو

يوم فرح واستبشار لجميع الإخوان . وفى اليوم الثانى يقوم ثانيهم إذ كان فيه « تصرم دولة أهل الجور » . واليوم الثالث هو يوم قيام ثالثهم وهو يوم « مقاومة الباطل الحق وكون الأمر على خلاف ما كان عليه . وفى اليوم الرابع يرجع الإخوان الى كهفهم ــ كهف التقية والاستتار ويكون الأمر كما قال النبى ﷺ « بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء »

وأما ما أوردناه من ذكر الأعياد فهو مهم لكونه فى فصل يسمى « الفصل الجامع » من خاتمة الرسالة الثامنة من الجلد الرابع (ص ٢٧٦ ــ ٧٧) .وهذا الفصل من الرسائل « بمنزلة القلب من الجسد والرأس من البدن وهو نهاية الغرض بعد الوقوف على ما فيها والارتسام بجميع مارسمناه والاعتماد على ماوصفناه [١] »

وفى هذا الفصل الجامع نكات فلسفية ومسائل علمية تتميز الاسماعيلية بها . وفيه أيضا إحدى مساعيهم لتوفيق الدين بالفلسفة والعلم لأن الإسماعيلية أكثر الناس فى تاريخ الاسلام ممن أدخل الفلسفة والعلم فى الدين . ولأجل ذلك سموهم مخالفوهم «الملاحدة» و « الزنادقة » و «الثنوية » وهكذا نسبوا الإلحاد والزندقة الى الرسائل لمزجها المسائل العلمية والنكات الفلسفية بالعقائد الدينية . وفى هذا الفصل دليل واضح على الصلات بين فلسفة الإسماعيلية ومذهب الرسائل.

ـــ ١٢ ـــ

دعوة الرسائل الى قلب النظام السياسى والى الحرية فى الدين والسياسة

وكأنك بالإخوان يريدون قلب النظام السياسى المسيطر على العالم الإسلامى. وكانوا يعملون فى الخلوات لهذا الغرض السياسى كما استنبط الأستاذ طه حسين ــ وما أحسن استنباطه ــ حيث يقول:ــ « كأن هؤلاء الناس إذا يعملون من وراء ستار ويؤلفون

---

(١) ولعل الاشتباه فى الاسم حمل الأستاذ السيد عبد اللطيف الطيباوى على القول بأن الجماعة قد أطلقوا الفصل (الفصل الجامع) على الرسالة الجامعة نفسها (ص ٧٦)

جماعة سرية. وكان قوام جماعتهم هذه فيما يظهر، سياسى وعقلى »، وكانوا يتوسلون الى قلب هـذا النظام السياسى «بتغيير النظام العقلى وانشاء فلسفة جديدة تـكون الحيـاة العقلية والعملية للفرد والجماعة تـكوينا جديدا » (طبعة مصر ص ٨). وكانوا يجتمعون لهذا الغرض ويبحثون فى مجالسهم السرية عن خفيات الأمور. « فتذاكروا يوما من حوادث الأيام . . . . ومن تغييرات شرائع الدين والملل وتنقل الملك والدول من أمة الى أمة ومن بلد الى بلد ومن أهل بيت الى أهل بيت. فاجتمع رأيهم واتفقت كلمتهم على أنه لابد من كائن فى العـالم قريب وحادث عجيب فيه صلاح الدين والدنيا وهو تجديد ملك فى المملكة وانتقال دولة من أمة الى أمة» (ج ٤ ص ٢٢٥) . وكانوا يعقدون بينهم عهدا وميثاقا يتناصرون ويتعاونون ويكونون « كرجل واحد فى جميع أمورهم وكنفس واحدة فى جميع تدابيرهم » (ج ٤ ص ٢٢٣). وكانوا يريدون هدم بناء الدين القديم والمملـكة القديمة وتأسيس « دولة أهل الخير يبتدى أولها من قوم علماء حكماء أخيار» (ج ٤ ص ١٤٤) . وكانت دعوتهم الى طلب العلوم والمعارف كلها، ولا يعادون علمـا من العلوم، ولا يهجرون كتابا من الـكتب ، ولا يتعصبون على مذهب من المذاهب ، لان رأيهم ومذهبهم يستغرق المذاهب كلها ويجمع العلوم جميعها. (ج ٤ ص ١٢٤) وكانت دعوتهم الى طلب « معلم ذكى، جيد الطبع حسن الخلق، صافى الذهن، محب للعلم، طالب للحق غير متعصب لرأى من المذاهب » (ج ٤ ص ١٣٠) وترك الاشتغال بإصلاح «المشائخ الهرمة الذين اعتقدوا من الصبا آراء فاسـدة، وعادات ردية ، وأخلاقا وحشية . فإنهم يتعبونك ثم لاينصلحون. وإن صلحوا قليلا قليلا فلا يفلحون» (ج٤ص١٣١) ثم يحثون الى طلب « الشباب ، السالمى الصدور، الراغبين فى الآداب، المبتدين بالنظر فى العلوم، . . . المستعملين شرائع الأنبياء عليهم السلام، الباحثين عن أسرار كتبهم التاركين الهوى والجدل، غير متعصبين على المذاهب، بأن الله ما بعث نبيا إلا وهو

شاب ، ولا أعطى لعبد حكمة الا وهو شاب ، كما ذكرهم ومدحهم فقال عز اسمه : «إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى» واعلم بأن كل نبي بعثه الله فأول من كذبه مشايخ قومه . . . كما وصفهم تعالى فقال : «وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ. وَقَالُوا ءَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ » (ج ٤ ص ١٣١) .

وتدل هذه الشواهد كلها على أن الإخوان كانوا يريدون تغيير النظام السياسى المسيطر على العالم الإسلامى . واستخدموا الدين الإسلامى والعلوم والفلسفة المتداولة بين الناس في هذا العصر ــ وكان هذا العصر « من أنصر العصور الفلسفية فى الإسلام » لهذا الغرض السياسى . وأقاموا دعوتهم الى حرية الفكر وحرية القول وحرية النفس .

الاسماعيلية

رسائل إخوان الصفا

تلخيص النحلة والرسائل فى عبارة

بقلم « مصرى » (القاهرة) فى جريدة « البلاغ » فى عدد ٩ يونيه ١٩٣٤

كنت قد اطلعت منذ مدة فى مجلة أسبوعية على مقالة عنوانها : (هلموا الى الصناعة) قيل فيها : « ولو كانت عندنا جمعية كتلك الجمعية التى تألفت أيام الدولة العباسية باسم (إخوان الصفا) لنشر المعارف الحقيقية لترقية الجمهور لجعلت مهمتها الأولى تعليم الناس مبادىء الكيمياء الصناعية لكى تهيئهم للدخول فى غمار المدنية الحديثة »

ثم قرأت فى مجلة أسبوعية غير الأولى كلاما فى (بيان) وهو « وسنتبع ذكرى المتنبي بذكريات رجال الأدب السالفين وسيكون أول هؤلاء إخوان الصفا » .

ثم رأيت فى هذه الأيام فى جريدة يومية شيئا فى « إخوان الصفا » قار به ماش فى ليل فيه

فدفعنى ذلك أن أقص فى (البلاغ) هذه القصة مجتزئا فى البحث عن الاسماعيلية ورسائل إخوان الصفا بها

***

للنحلة الاسماعيلية دعوتان : دعوة قديمة ، وأهلها اليوم اسماعليو اليمن ، فى جبال (حراز) فى ذلك الاقليم ، وعددهم ثلاثة آلاف أو خمسة آلاف . وكانوا أكثر من ذلك فأباد الإمام يحيى حميد الدين إمام الزيدية وصاحب اليمن فريقا كبيرا منهم .

وابادة نحلتهم بالتى هى أحسن ، بالدعوة الحكيمة إلى حقيقة الإسلام هى ـ عند الإسلامية والعربية ـ خير وأكرم

الإسماعيلى (وشبيهه فى الانحراف) هو أخونا ، وهو مسلم أفسد خصوم العربية والإسلام معتقده ، فما أسهل عودته إلى منزله الأول !

ودعوة حديثة ، وأهلهـا فى الهند ، وفى بر الشام ، وإمامها (آقاخان) المشهور وقد بنى فى السنة الماضية على حسناء فرنسية . وإخال أن لسان حاله يردد قول خالد بن يزيد الأموى فى رملة بنت الزبير :

فلا تـكثروا فيهـا اللام فاننى ... تخيرتها منهم زبيرية قلبـا

أحب بنى العوام طرا لحبها ... ومن أجلها أحببت أخوالها كلبا

فان تسلمى أسلم وان تتنصرى ... يعلق رجال بين أعينهم صلبا

هذا البيت مزيد فى الشعر ـ فيروى أن عبـد الملك ذكر له هـذا البيت فقال له ياخالد ، أتروى هذا البيت « فقال ياأمير المؤمنين ، على قائله لعنة الله »

وجماعة الدعوة القديمة فى اليمن لا تأتم بآقاخان ولا تعرفه

وقد جاء الدكتور حسين الهمدانى أستاذ تاريخ الإسلام فى جامعة بومباى (القاهرة) منذ ثلاث سنين ، وأراد أن يتعرف بنا . فاستقبلناه وصاحبا له وهو (م . ى . ح .)

من المتخصصين بالمباحث الإسلامية استقبال مثله من أهل الفضل وكانت عند اللقاء أحاديث جمة

***

قال : ـ وقد ذكرنا الإسماعيلية ورسائل إخوان الصفا ـ : « إن الإسماعيلية يرون القرآن الكريم كتاب العامة ، الجمهور (ثم لطف اللفظة فقال : الأمة) ويرون رسائل إخوان الصفا كتاب الأئمة

فعالناه رأينا في تلك الرسائل ثم ذكرنا له ـ قاصدين الالاف والإيناس ـ (قول العلمة) أو إدارة المعارف الإنجليزية في التربية والتعليم ـ وهي غير تلك الكبرى ـ في رسائل إخوان الصفا وهو : « إن الإسماعيلية قد أفضلت إفضالا كبيرا إلى فن التربية والتعليم برسائل إخوان الصفا »

ثم قلنا له : كنا قد قرأنا تلك الرسائل ولخصنا نحلة الإسماعيلية في هذه الجملة « الإسماعيلية هي قنطرة (جسر) بين الإسلام والإلحاد »

فأخرج الدكتور الهمداني على الفور ـ كما تقول الفقهاء ـ دفترا وكتب قولنا وقال : « ما سمعت بأحسن من هذا »

على أن لحجة الإسلام (الإمام الغزالي) كلمة هي أحسن من قولنا وهي « الباطنية ظاهرها الرفض وباطنها الكفر المحض »

غير أنا (والله) ما أخذنا ماقلنا من ذلك الإمام العظيم . وإنما أملت علينا جملتنا تلك الرسائل

***

أظن هذه القصة الموجزة تزيل كل اشتباه في رسائل إخوان الصفا ، وتحق الحق ، والقوم أدرى بكتبهم وأحوالهم .

وما أريد بما سطرت أن أصد الباحثين عن بحث ، أو أكره ـ بتشديد الراء ـ رسائل إخوان الصفا إلى العلماء والأدباء . لكن أحب أن يمشي الكاتبون في النور لكيلا يوطئوا قومهم عشوة (كما يقال)

القاهرة (مصري)

المكتبة العربية الكبرى

فى بومباى

لصاحبها

عبد المنعم حسن العدوى واخوانه

أكبر مكتبة عربية فى بمباى فيها من الكتب القيمة ما يفيد الطالب ولا يستغنى عنه العالم . وهى مستعدة لاجابة طلبات زبائنها بكل سرعة . وفيها من الكتب المدرسية والدينية ما يحتاج اليه كل تلميذ . كما أن فيها من الكتب العصرية ما يشتمل على الثقافة الحديثة ويهذب النشء تهذيبا عصريا ما ؟

وهى حاوية جميع مطبوعات مكتبة

عيسى البابى الحلبى وشركاه

صندوق بوستة الغورية رقم ٢٦ بمصر